مذكرات الشابي

الاثنين 6 جانفي 1930

كنا جلوسا بقاعة المطالعة بجمعيّة قدماء الصّادقيّة. وكان الحديث يدور حول سي يوسف محجوب، وإخلاله بالوعد الذي ضربه للناس في أنّه سيلقي مسامرة بالنادي الأدبي، وتركه النّاس ينتظرون بدون طائل، ثمّ أفتياته على رئيس الخلدونيّة ونشره بالجرائد أنّ سيلقي مسامرته عن «فرجسون أو الروح والجسد» تحت إشراف القدماء بقاعة الخلدونيّة. وقد كان أكثر الحاضرين لائما عليه فيما عمل، والبعض منهم ساخط، والبعض الآخر صامت لا يبدي رأيا.

وماهي إلاّ ساعة حتّى دخل أمين مال القدماء فشارك فيما هم فيه. ثمّ تطوّر الحديث وأخذ الحديث مجرى آخر غير ما كان عليه. طلب رئيس القدماء السيّد بوسن أمين مال القدماء أن يدفع فرنكات 150 في مقابل تلقي ابنه دروسه بالخلدونيّة ستة أشهر، وأن يبقيها أمانة عند رئيس القدماء إلى أن يقتطع باسمه وصلا، فما كان منه إلاّ أن أدخل يده في جيبه وسلم المقدار إلى رئيس القدماء. وإذ ذلك صاح رئيس الخلدونيّة ضاحكا: سترى اسمك في الجرائد معلنا عنه أنّه تبرّع على الخلدونيّة بمائة وخمسين فرنكا لأنّ الخلدونيّة تعطي دروسا مجانا. وعندها قال رئيس القدماء: بل احتجزها للقدماء كشيء متبرّع به عليها من أمين مالها.

فكانت مشادّة بين الأخوين الرئيسين فيها كثير من الدعابة والجدّ. كلّ يدّعي أنّ جمعيّته جديرة به. ولم يحسم الخلاف إلاّ بكلمة من سي بوسن بأنّه يتبرّع على كلّ من الجمعيّتين بهذا المقدار. وهنا كان

هاتف ودعوات وبسمات، انهالت على رأس أمين المـال قبـل الرئيسـين الحاضرين ممزوجة بشيء من اللهـو الـبريء. وإذا ذالـك قـام الأخ زيـن العابدين السنوسي معلنا للجماعة نبأ جديدا عن سـي حمّـودة بـو سـن كما يقـول الأخ بتعـبيره هـذا النبـأ هـو أنّ " سـي حمـودة" تـبرّع بمبلـغ قدره ثلاثة آلاف فرنك لتكون جائزة تخصّص لبحث أدبـي يتسـابق فيـه الأدباء التونسيون، وزاد على ذلك مخاطبا أميـن المـال: "إنّنـي يـا سـي حمـودة العزيـز، ويـا نوبـل تـونس الكريـم، سأخصّـص لـك ولجائزتـك صحيفة من "العـالم" تحلّـى برسـمك ويجعـل عنوانهـا هكـذا : "جـائزة بوسـن" كمـا يسـتعمل الغربيـون "جـائزة بويـل"، مـن دون تحليـة ولا زيادة.

ولقد هزّتني أريحيّة هذا الرجل الفاضل النبيل الطيّب القلب بصورة لم أستطع طبع عواطفي، فنهضت مـن مكـاني وجلسـت إزاءه أشـكره على مبرّاته. وبعد ذلك أخذنا في تعداد أسماء الأفـراد الـذين يستحسـن أن تتكوّن منهم لجنة التحكيم. فعـددنا أفـرادا كـان مـن بينهـم الأخ زيـن العابدين السنوسي بطلب منه وإلحاح في ذالك وإثر ذلك قـال الأخ زيـن العابدين السنوسي: "سأحدّثكم بنبـإ جـائزة أخـرى أدبيّـة، ولكنّهـا دون هذه المنزلة، هي جائزة ماليّة تبرّع بها فاضل آخـر لتنشـيط الأدب، وإن كان في استطاعة هذا الفاضل أن ينشّطه بأكثر مـن نشّـطه بـه، إذ أنـه مثر وفي الدرجة الأولـى مـن الـثراء. ثـمّ قـال موجّهـا خطـابه لحضـرة أمين المال:

ولكن الله لم يرزقه ثراء في قلبه علـى نسـبة ثـراء جيبـه. أمّـا أنـت يـا" سي حمودة الغالي، فقد أعطاك الله ثروة في القلب، وأخرى مثلها في الجيب". فقال له ذلك الرجـل الطيّـب القلـب: " عـدّي عـن ذل يـا سـي الزين" ثمّ قال الأخ زين العابـدين: وفـي عزمـي أن أفتـح اكتتابـا حتّـى

تصير الجائزة ثلاثة آلاف فرنك أخصّصها لمسابقة روائيّة تونسيّة، وتكون الجائزة جائزة " العالم". وفي ذلك الوقت تذكّر أنّـه نبّهـه قيّـم القـدماء إلى أن رجلا يريد مقابلته فذهب.

ولمّـا خـرج التفـت إلـيّ سـي حمّـودة بوسـن وقـال: " إنّ سـي زيـن العابـدين يقـول كـثيرا وأنـا أخـاف مـن المكـثرين". فقلـت لـه إنّ سـي الزين يقول كثيرا ولا يعمل. ثمّ ندمت على تسرّعي بمثـل تلـك الجملـة، لأنّ الأخ زين العابدين نشيط كالنملة، حريص كـالأرض ولا يصـبح قـوّالا غير عامل إلاّ إذا لم يجد مجـالا للعمـل. فـإنّه ينـدفع فـي القـول الكـثير وكأنّه يعلل بذلك نفسه الظامئة، وآماله الفساح.

ولمّا عاد الأخ زين العابدين كان مبتهجـا ضـاحكا، وصـاح بقيّـم القـدماء "هات أربع كاسات طرنجيّة والدفع علـيّ" . ولمّـا شـربناها خرجنـا، وأنـا مبتهج أعظـم الابتهـاج، إذ رأيـت النـاس بمختلـف الوسـائل. ثـمّ افترقنـا ونفسي تفكّر بالأوساط التونسـيّة فـإذا بـي مـا التفـت إلـى ناحيـة مـن نواحي الحياة التونسيّة إلاّ وأجد فيها نشاطها وحركة ونهوضا ممّـا يبشـر بأنّنا الآن في عصر انتقال وتطوّر ستشمل حركته كلّ ضروب الحياة في تونس. حق الله الأمل. فقد طال هذا الظلام!

مذكرات الشّابي ط الرابعة 1985 ص 46/47/48/49